نحو منطلقات إسلامية للفن والأدب

د . أحمد حسن محمد - السودان

◁◁ الفن والإنتاج الأدبي:

يعتبر الإنتاج الأدبي - بكل أشكاله وفنونه - مجالاً من مجالات الإبداع الفكري التي تحقق الاستفادة أو المتعة الذهنية للمتلقين وهو (أي الإنتاج الأدبي) يلتقي مع الفن من حيث الإبداع والإمتاع.

ويعد الفن عاملا من عوامل انتشار الإنتاج الأدبي لما للفنون من قابلية لدى المتلقين من أفراد وجماعات المجتمع، وفي نفس الوقت يمكن القول بأن الإنتاج الأدبي يعتبر رافداً هاماً من روافد العمل الفني، ومصدراً من مصادره الفكرية بصفة عامة، ويمكن ملاحظة ذلك ببساطة في فنون المسرح والدراما والإنشاد وغيرها ..

◁◁ التصور الغربي للفن والأدب:

لقد تأثر الفن وكذا الإنتاج الأدبي في الغرب بما ساده من تيارات فكرية مادية تقوم على معاداة واضحة للقيم الروحية والمبادئ الدينية انطلاقاً من تجربة الغرب مع الكنيسة في بداية مايسمى بعصر النهضة حيث سيطرت على الساحة الأوربية ألوان من أدب اللامعقول يقوم عليه فن لا معقول .. فن إباحي متجرد من أكثر مظاهر الالتزام الأخلاقي والمثالي، أدب يستجيب لمطالب الجسد والمادة بعيداً عن تزكية النفس وإشباع متطلبات الروح والنفس الزكية ...

وقد استغل اليهود هذه الموجة الانحلالية فسعوا إلى السيطرة على وسائل الإنتاج الإعلامي والنشاط الفني فأغرقوا المجتمعات بالأفلام الماجنة والأغاني المنحلة والرسومات العارية وعرض النساء في صور مخجلة، كل ذلك تحت مسمى الفن، والذي أصبح بذلك بعيداً عن معاني الشرف والكرامة الإنسانية والقيم الخيرة الفاضلة بالأسلوب المبهج المتميز.

◁◁ ضرورة الالتزام الإسلامي في الأدب والفن:

إن الالتزام الأدبي شامل لكل ضروب الكلام سواء كان شعراً أم قصة أم مسرحية حيث إن كل أشكال الكلمة في المنظور الإسلامي هي موضع الأمانة والمسؤولية، وهي رسالة ذات شأن، ولابد أن توظف (أدباً أوفناً) في خدمة الحق والخير والقيم الفاضلة [1].

إن الحاجة ملحة لتوظيف الفنون سواء في السينما أم المسرح أم مجال التشكيل المباح توظيفاً إسلامياً ملتزماً بهدي شرع الله عزوجل، ولا سيما بعد أن أصبح المجال متسعاً لنشر دعوة الله سبحانه عبر كافة مستحدثات العصر، ومنها وسائل الإعلام والاتصال، التي أصبحت في حاجة مستمرة لإنتاج فني ومواد إعلامية ...

إن حقيقة التزام الأدب والفن إسلامياً لا يعني تحويله إلى وعظ (مصطنع) وخطابة دينية (متكلفة) فالأدب أدب، والفن فن قبل أن يكون دعوة لخير أو حرباً على شر.

والأديب المسلم أمامه المتسع الفسيح ليغترف من نبع الإسلام دون ضيق أفق أو تحديد خيال، حيث إن الإسلام لايقتصر أمره على العبادة والعقيدة - وإن كانتا من أهم ركائزه - ولكنه يتميز بالشمول، فهو دين الحياة كلها وساحة الحلال فيه واسعة بحمدالله .....

ويظل القرآن الكريم هو النموذج الأعلى والأسمى في طهارة الكلمة ونظافة التعبير، فقد عبر عن أخص علاقة وأشدها حساسية - علاقة الرجل بالمرأة في أكثر من موقف ، عبر عن رغبة ابنة شعيب المشروعة في موسى عليه السلام ، وعن مراودة امرأة العزيز غير المشروعة ليوسف عليه السلام، وعن تطلع قوم لوط الدنيء للملائكة ... كل ذلك وغيره ، في لغة وأسلوب لا ترى العذارى فيها حرجاً عن سماعها[٢].

◁◁ المطلوب من الفن الإسلامي:

إن المجتمع الإنساني الراشد إنما يتطلب من الفن أن يكون دوما عاملا من عوامل إثراء الحياة الإنسانية بالتجربة والخبرة، والتوعية والتوجيه السليم، مثيرا للهمم، موقظا للمشاعر الطيبة ودوافع الخير والفضيلة، وعاملا أساسيا من عوامل واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

كل ذلك دون أن يغفل جانب الجمال والإمتاع بما يحقق للنفس الإنسانية الرضا ويتيح لها الاستفادة من الخبرات والمواقف الاجتماعية الهادية بما يعينه على التزود بقيم الخير والحق والاستقامة.

إن الإنتاج الفني -في جميع صوره- يتطلب مضامين أساسية تجمع مطالب النفس الجادة وماتعيشه من ظروف وأوضاع الكد والتعب ومواقف الصراع مع مطلوبات الحياة وبين طبيعة الإنسان في ميله إلى ساعات من اللهو البريء والترويح والتسلية والبسمة المعبرة ابتعادا عن مواقف الحزن والشدة...

ويتأكد هذا المفهوم بصفة أساسية في الإنتاج الأدبي عندما يلتزم بالإسلام والذي يتهمه أعداؤه، ومن يجهله، بأنه دين يحارب متع الحياة، ويدعو إلى مواقف الحزن والكآبة والشدة، ويتخذ من أساليب الوعيد والترهيب نموذجا للسلوك، ولا يعنى بمطالب النفس الإنسانية من حيث الترويح والتسرية والإسعاد. وهذا كله بلا شك اتهام باطل تدحضه آيات الله في كتابه المنزل ﴿ ... يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ... ﴾ (البقرة ١٨٥) وتؤكد عليه سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث يقول: "إن الله تعالى رضي لهذه الأمة اليسر وكره لها العسر".

إن الإسلام يضع قضايا الإنسانية كلها في ميزان العبودية لله رب العالمين، لايفصل بين ما هو للحياة الدنيا وماهو للحياة الآخرة، وهذا يحقق الالتزام بالإسلام عدلا بين الطبيعتين الروحية والمادية وفق توازن دون تطرف أو مغالاة[٣] ■

الهوامش:

(١) د / وليد قصاب، في الأدب الإسلامي - دار القلم للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤١٩هـ، ص ١٠١ .

(٢) د. أحمد علي، الأدب الإسلامي ضرورة - ص ٨٤ .

(٣) عفيف طبارة، روح الدين الإسلامي، دار العلم للملايين، ١٩٧٧م، ط ١٧، ص ٦٣-٦٥ .